مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(٢ كور ٦: ١٦–١٨؛ ٧:١)

يا إخوةُ أنتم هيكلُ اللهِ الحيِّ كما قال اللهُ إنّي سأسكُنُ فيهم وأسيرُ فيما بينهم وأكونُ لهم إلهاً وهم يكونونَ لي شعباً* فلذلك اخرُجوا من بينهم واعتزلوا يقول الربُّ ولا تمسُّوا نَجِساً* فأقبلَكم وأكونُ لكم أباً وتكونونَ أنتم لي بنينَ وبناتٍ يقولُ الربُّ القدير* وإذ لنا هذه المواعد أيها الأحبَّاءُ فلنُطهِّرْ أنفسَنا من كلّ أدناسِ الجسدِ والروحِ ونكمِّل القداسةَ بمخافةِ الله.

الإنجيل

(متى ١٥: ٢١–٢٨)

في ذلك الزمان خرجَ يسوعُ إلى نواحي صورَ وصيدا وإذا بامرأةٍ كنعانيَّةٍ قد خرجتْ من تلك التُخومِ وصرختْ إليهِ قائلةً إرحمني يا ربُّ يا ابنَ داود فإنَّ ابنتي بها شيطانٌ يعذِّبها جدًّا* فلم يُجِبْها بكلمةٍ. فدنا تلاميذُهُ وسألوهُ قائلين

البنوة لله

من خلال قراءتنا للكتاب المقدّس نستشفّ أنّ الإنسان باستطاعته أن يكسب أبوّة الله له بمجرّد أن يعترف أنّ الله هو مصدره، كما أنّ الإبن يصدر عن الأب، وأن يحيا بعيداً عمّا ينجّسه من أعمال أو أقوالٍ تتعارض وقانون المحبة الذي وضعه الله. المحبّة التي لا تطلب ما لنفسها، والتي هي على صورة محبّة الله لنا: «هكذا أحبَّ اللهُ العالمَ حتى بذلَ ابنَهُ الوحيدَ لكي لا يهلِكَ كلُّ مَن يؤمِنُ به بل تكونُ له الحياةُ الأبدية» (يو ٣: ١٦).

في فصل الرسالة التي تُتلى على مسامعنا اليوم (٢ كور ٦: ١٦–١٨؛ ١٧: ١)، وفي المقطع الذي يسبقه من الرسالة، دعوة مفتوحة من الله إلى الإنسان للإبتعاد عن الشر وعن الظلمة حتى يكون ابناً له وهيكلاً يسكن فيه الله: « لا تكونوا تحت نير مع غيرِ المؤمنين، لأنه أيَّةُ خلطةٍ للبرِّ والإثم، وأيَّةُ شركةٍ للنور مع الظلمة، وأيُّ اتفاقٍ للمسيح مع بليعالَ، وأيُّ نصيبٍ للمؤمن مع غيرِ المؤمن، وأيَّةُ موافقةٍ لهيكل اللهِ مع الأوثانِ؟ فإنَّكم أنتم هيكل الله الحي...» (٢ كور ٦: ١٤–١٦). مقابل هذه الدعوة ينتظر الله جواب الإنسان. ويظهر من خلال الكتاب المقدّس أنّ المشكلة كانت دائماً من الإنسان الذي لم يكن يستطيع تخطّي أنانيّته لينظر إلى وجه الله خالقه، مع أنّ الله مستعدّ دوماً لتخطي أفعال الإنسان التي كانت تبعده عن الله بمجرد الرجوع عنها: «اغتسلوا وتطهروا وأزيلوا شرَّ أعمالكم من أمام عينيَّ وكُفُّوا عن الإساءةِ. تعلَّموا الإحسان واطلُبوا العدلَ. أغيثوا المظلوم وأنصِفوا اليتيم وحاموا عن الأرملة. ويقول الربُّ: تعالَوا الآن نتعاتب. إن كانت خطاياكم بلون القِرمزِ، فهي تبيَضُّ كالثلجِ؟ وإن كانت حمراءَ غامِقةً، فهي تصير بيضاء كالصوف؟ او كنتم سمعتم لي، لأكلتم خيراتِ الأرض. ولكنَّكم رفضتم وتمرَّدتم عليَّ فكنتم طعاماً للسيفِ. أنا الربُّ تكلَّمَ» (اش ١: ١٦–٢٠)، «بل هذا هو العهدُ الذي أقطَعُهُ مع بيتِ إسرائيلَ بعد تلك الأيَّام يقولُ الربُّ، أجعلُ شريعتي في داخلهم وأكتُبها على قلوبهم وأكون لهم إلهاً وهم يكونون لي شعباً، ولا يعلّمون بعدُ كلُّ واحدٍ صاحِبَهُ وكلُّ واحدٍ أخاهُ قائلينَ اعرفوا الربَّ، لأنهم

العدد ٢٠١١/٦
الأحد ٦ شباط
تذكار أبينا البار بوكولوس أسقف إزمير، وأبينا الجليل في القديسين فوتيوس المعترف بطريرك القسطنطينية والقديس الشهيد الطبيب إيليان الحمصي
اللحن الرابع
إنجيل السَحَر الرابع

إصرِفْها فإنَّها تصيحُ في إثْرِنا* فأجاب وقال لهم لم أُرسَلْ إلاَّ إلى الخرافِ الضالَّةِ من بيت إسرائيل* فأتتْ وسجدتْ لهُ قائلةً أغِثْني يا ربُّ* فأجاب قائلاً ليس حسناً أن يُؤخَذَ خبزُ البنينَ ويُلقى للكلاب* فقالت نعم يا ربُّ فإنَّ الكلابَ أيضاً تأكُلُ من الفُتاتِ الذي يسقطُ من موائدِ أربابِها* حينئذٍ أجابَ يسوعُ وقال لها يا امرأةُ عظيمٌ إيمانُكِ فليكُنْ لكِ كما أردتِ* فشُفيتِ ابنتُها من تلك الساعة.

تأمل

لقد سبق داود وكرز في حكمة سليمان «الربّ يحطّ المتكبّرين أما المتواضعون فيعطيهم نعمةً » (أم ٣: ٣٤). وهذا ما ركّزت عليه حكمة الآب العليّ عن طريق أعمالها عندما عاشت حياتها في الجسد. في الواقع توجّه الرب إلى الفريسيين وإلى الكتبة، الذين كانوا يتذمّرون على تلاميذه ويتفاخرون بالحفاظ على نواميس الله قائلاً: «لماذا تتعدون وصية الله بسبب تقليدكم» (متى ١٥: ٣). وأمّا الكنعانية الخارجة بتواضع والمبتهلة فقد أعطاها نعمةً.

عندما سمعت الكنعانية من الرب لفظة تنعتها «بالكلاب» وبآخر مصفّ

كلهم سيعرِفونني من صغيرهم إلى كبيرهم يقول الرب، لأنّي أصفح عن إثمهم ولا أذكر خطاياهم بعد» (إرميا ٣١: ٣٣–٣٤).

شرط الرب في مسألة الأبوّة والبنوّة هذه هي الطهارة. هذه الطهارة ليست تلك الخارجية، لأنّ ليس شيئاً غير طاهر في عينيّ الربّ (أع ١٠: ٩–١٥). المشكلة تكمن في ما يخرجه الإنسان من قلبه، وهذا ما ينجس الإنسان: «أمَّا ما يخرُجُ من الفم فمنَ القلبِ يصدُرُ، وذاك يُنجِّسُ الإنسانَ. لأن من القلبِ تخرُجُ أفكارٌ شريرةٌ قتلٌ، زِنىً، فِسقٌ، سِرقةٌ، شهادةُ زور، تجديفٌ. هذه هي التي تُنجِّسُ الإنسانَ» (متى ١٥: ١٨–٢٠). لذلك على الإنسان أن يزيل من قلبه كلّ عائق أمام تدفّق محبّة الله الأبوية، أمّا الطهارة الخارجية فما هي إلاّ انعكاس للطهارة الداخلية. وعندما تتحقّق هذه الطهارة نصير أبناءً لله بالتبنّي، بواسطة الروح القدس: «لمَّا جاءَ مِلءُ الزمانِ أرسلَ اللهُ ابنهُ مولوداً من امرأةٍ، مولوداً تحتَ الناموس ليفتدي الذين تحتَ الناموس لننالَ التَّبني. ثم بما أنَّكم أبناءٌ أرسل اللهُ روحَ ابنه إلى قلوبكم صارخاً يا أبا الآبُ. إذاً لستَ بعدُ عبداً بل ابناً وإن كنت ابناً فوارثٌ للهِ بالمسيح» (غلا ٤: ٤–٧)، «إذ لم تأخذوا روحَ العبوديَّةِ أيضاً للخوف بل أخذتم روحَ التَّبني الذي به نصرُخُ يا أبا الآبُ. الروحُ نفسُهُ أيضاً يشهدُ لأرواحِنا أنَّنا أولاد اللهِ. فإن كنا أولاداً فإنَّنا ورثةٌ أيضاً ورثةُ اللهِ ووارثونَ مع المسيحِ» (رو ٨: ١٥–١٧).

هذه البنوّة ليست مكسباً نهائياً، لأنها كما قلنا مشروطة بالطهارة، والكرة دائماً في ملعب الإنسان، لأنّ الله يتحرّك دائماً وفق محبّته الأبوية المطلقة. فكلّما ابتعد الإنسان عن الله وعن محبّته، وانساق إلى شهواته ناظراً إلى نفسه، كلما تخلّى عن بنوّته لله. ولنا في هذا السياق مَثَل الإبن الشاطر الذي أخذ حصته من أبيه، وابتعد عنه، أي تخلّى عن بنوّته ووصل به الأمر إلى حدّ الموت إذ بذّر كلّ ماله ولم يجد مَن يعطيه مأكلاً (لو ١٥: ١١–١٦). مع هذا كلّه فإن دعوة الله تبقى مفتوحة بغضّ النظر عن موقف الإنسان الرافض له، والله مستعد لقبول الإنسان بمجرّد عودته إليه (لو ١٥: ١٧–٢٤)، وهو يسامحه على خطاياه ولا يعود يذكر آثامه (ار ٣١: ٣٤).

لقد قلنا أنّ دعوة الله حتى نصير أبناءً له مفتوحة، بمعنى أنّ هذه البنوّة لا تقتصر على مَن تبنّاهم الله حتى الآن فقط. وبمعنى آخر، قد يقع الإنسان المسيحي في خطأ فظيع حين يظنّ أن الباب قد أُغلق على غير المؤمنين، والبنوّة محصورة فقط بالمسيحيين. إلاّ أن رسالة الرب يسوع مع المرأة الكنعانية كانت واضحة، إذ إنّ مَن نظنّ أنّهم غير مؤمنين وغير مستحقين لرحمة الله (وقد نشبّههم بالكلاب)، هؤلاء يقبلهم الله إذا أتوا إليه كما قبلنا نحن.

إنّ قبولنا لبنوّتنا لله لا يأتي بمجرّد مجهود شخصي يقوم به الإنسان، ولكنّه ينال هذه البنوّة هبة مجانية ورحمةً من الله، لذلك فإنّنا في كلّ حينٍ نطلب من الله أن يؤهّلنا لهذه البنوّة فنهتف مع الكاهن في القداس الإلهي: «وأهّلنا أيها السيد أن نجسر بدالة على أن

الكلاب حسب النص (متى ١٥:٢٦)، أردفت بـلـوم نفسها وبتواضع قائلة: «نعم يا ربّ». أمّا معلمو إسرائيل، فعندما جحدوا الله بتقواهم الكاذبة سمعوا من الرب اللفظة التالية «يا مراؤون» فتعثروا.

بعد أن جابههم الرب بحق بمثل هذا الكلام، أتت حادثة المرأة الكنعانية الوثنية لتعلن توجه الرب نحو غير اليهود أيضاً. نقرأ: «ثم خرج يسوع من هناك وانصرف إلى نواحي صور وصيدا. وإذا بامرأة كنعانية قد خرجت من تلك التخوم وصرخت إليه قائلةً إرحمني يا ربّ يا ابن داود فإنّ ابنتي بها شيطانٌ يعذبها جداً» (متى ١٥: ٢١-٢٢).

في الواقع لم تخرج الكنعانية فقط من حدود تلك المنطقة الوثنية بل صعدت أيضاً من الأودية كزنبق شريف متفوّهة بكلمات تنضح برائحة الروح القدس. ان كان الواحد لا يستطيع أن يقول: يسوع رب إلاّ بالروح القدس (١ كور ١٢: ٣)، من يُنكر ان لسان الكنعانية كان يحرّكه الروح الإلهي، طالما كان يدعو بابن داود نفسه وبالربّ متوسّلاً منه الرحمة ومقتنعاً ان له السيادة على الشياطين؟ ان كان الإيمان يتولد بالسماع (رو ١٠: ١٧)

ندعوك أباً غير مُدانين أيّها الإله السماوي ونقول: أبانا الذي في السموات...».

المحبة المسيحية

تبدأ كنيستنا المقدّسة بتهيئتنا لاستقبال الصوم الأربعيني المقدّس من خلال أناجيل تُتلى على مسامعنا كي نتّعظ منها، ليس فقط خلال الصوم المقدّس بل خلال حياتنا بأكملها. من هذه المقاطع يُتلى علينا الإنجيل المتكلّم على المرأة الكنعانية (متى١٥:٢١-٢٨).

تستوقف قارئ هذا الإنجيل عدّة مواقف، لن نتطرّق إليها كلّها، إنّما سنستعرض موقف التلاميذ من المرأة التي اتّجهت إلى المسيح طالبةً الرحمة، «فدنا تلاميذه وسألوه قائلين: إصرفها فإنها تصيح في إثرنا» (متى ١٥: ٢٣). لكنّ المسيح أجابهم قائلاً: «لم أُرسَلْ إلاّ إلى الخراف الضالّة من بيتِ إسرائيل» (متى ١٥: ٢٤).

يظهر جليًّا في هذا النصّ الإنجيلي التباين بين موقف كلٍّ من التلاميذ والمسيح، في حين أنّه كان حريًّا بالتلاميذ أن يفكّروا مثل معلّمهم، لكنّهم برهنوا عن بشريةٍ محضة.

لقد خُلقنا كلُّنا على صورة الله ومثاله، إذاً نحن نحمل في داخلنا بذوراً إلهيّةً علينا تنميتها، ومن أهمّ هذه البذور المحبة. فكون «الله محبة» يعني أنّنا نحن أيضاً مدعوون لنفيض بهذه المحبة ونظهرها للآخرين. لقد كان تلاميذ المسيح يحيون مع كمال المحبة، إلاّ أنّ الضعف البشري كان الغالب في بعض مواقفهم كما هي الحال مع الكنعانية.

هذا الأمر لا يزال يحصل مع مَن يُفترض أن يكونوا تلاميذ المسيح في عصرنا الحالي، أي مع كلّ مسيحيٍّ. إنّ المحبّة تفتر في أيامنا، الأمر الذي يظهر في أعمالنا اليومية. مثلاً، يستيقظ التلميذ كلّ يوم ليذهب رغماً عنه إلى المدرسة حيث يقوم، بدلاً من الدراسة، بأعمالٍ تسيء إلى أساتذته ورفاقه وتالياً إلى نفسه، كما يستيقظ الأستاذ يرافقه الشعور نفسه، فيذهب إلى عمله ويسيء معاملة تلامذته بدلاً من إفادتهم. إذا تحلّى كلٌّ من التلميذ والأستاذ بالمحبّة لَسادت الأجواء الملائمة للدراسة واستفاد الجميع وسط جوٍّ من الفرح والعطاء والمشاركة. هذا مثال صغير على عدم ممارستنا أساليب المحبّة.

تصادفنا في كلّ لحظةٍ فرصةٌ جديدة للبرهان عن بنوَّتنا لله وعن كوننا مخلوقين ومجبولين على صورة الله - المحبّة. كم من مرّةٍ نتنازع مع الآخرين على الطرقات ونحن نقود سيّاراتنا و«نطحَشُ» عليهم بطريقة أنانية لكي نمرّ أولاً، بدلاً من أن نفتح لهم الطريق ليمرّوا بسلام، من دون أن نشتم أو نجعلهم يشتمون، وتالياً يقعون في الخطيئة عوض مساعدتهم على الوصول إلى تمجيد الله من خلال أفعالنا؟ كم من مرّة يحصل نزاع على موقف سيارة، ويصل الأمر إلى الضرب وحتى إلى رفع السلاح في وجه الآخر، عوض التخلّي عن الأنا للبرهان عن المحبّة؟ كم من مرّةٍ نُحقّرُ الآخر غير آبهين بشعوره

حسب قول الرسول بولس «فقد خرج صيت عنه إلى كل موضع في الكورة المحيطة» (لو ٤: ٣٧)، لقد وجد المسيح الكنعانية إناءً حسن الصدى فبوّق فيه باشد الصوت. لأن هذه ما إن آمنت حتى ركضت بحرارة وتوسّلت جهاراً وكرزت في الوقت نفسه صارخة من بعيد: «إرحمني يا ربُّ يا ابن داود فإن ابنتي بها شيطانٌ يعذبها جداً». هي لا تشعر بالمأساة. أمّا أنا فأحسّ بالألم وتحترق أحشائي فأطلب رحمتك، أنت ابن داود حسب البشرية كونك تنحدر من صلبه، وفي الوقت نفسه أنت ربّ الكل كونك إلهاً قبل الدهور، وبسماح منك يعذب الشيطان ابنتي. إن شئت الآن أن تميل إليّ أذنيك برحمتك، يبتعد ذلك اللعين للحال.

«لكن الرب لم يُجبها بكلمة. فدنا تلاميذه وسألوه قائلين اصرفها فإنّها تصيح في إثرنا. فأجاب وقال لهم لم أُرسَل إلاّ إلى الخراف الضالّة من بيت إسرائيل» (متى ١٥: ٢٣-٢٤).

لم يجب الرب بكلمة مريداً أن يُبرز بالأكثر إيمانها وفضيلتها.

القديس غريغوريوس بالاماس

وناسين أنه أيضاً مخلوق مثلنا على صورة الله ومثاله؟ كم ربّ عملٍ تسبّب بالأذى لموظّفيه بسبب تسلُّطه، ناسياً أنّه لم يكن ليصل إلى ما هو عليه لو لم يمنحه الله إيّاه؟ كم موظّف ينمُّ على ربّ عمله الذي يؤمّن له فرصةً ليبقى عائشاً بطريقة لائقة؟

إذاً، الأمثلة كثيرة عن كيفيّة فقدان المحبّة. وحتى لو ظهرت بعض الأمثلة بسيطة وربما سخيفة، إلاّ أنّ بعض الناس لا يحتاجون طرقاً معقّدةً لكي نجعلهم يشعرون بمحبّتنا تجاههم، وتالياً محبّة الله لهم. في الكتاب المقدّس سؤال مهم جدًّا: كيف يمكننا أن نحبّ الله الذي لا نراه في حين أننا نكره أخانا الذي نراه؟ المسيح جاء، كما قال لنا، لا لينقض بل ليتمّم، وقد تمّم الشريعة والناموس وزاد على الوصايا واحدة جديدة وعظيمة، تلخّص كلّ ما سبقها بكلمة فقط: المحبّة. مَن فيه المحبّة لا يقتل ولا يزني ولا يشهد بالزور... مَن فيه المحبّة يتأنّى ويرفق ولا يحسد ولا يتفاخر ولا يأتي قباحةً...

الضعف البشري يجعلنا نسقط أحياناً في عدم المحبّة، ولكن علينا ألاّ نجعل هذا الضعف ذريعةً تشرِّع لنا الخطيئة. بدلاً من التفكير بضعفنا، دعونا نفكّر بأنّ خالقنا هو إلهٌ عظيمٌ، وتالياً نحن عظماء ونحمل في داخلنا صفاتٍ إلهيّةً. إلهنا هو المحبّة الفائقة، ونحن نحمل بذور هذه المحبّة التي علينا تفعيلها ومَنْحها للجميع مجاناً مثلما نلناها. كلُّ إنسانٍ أمامنا مخلوق مثلنا على صورة الله ومثاله، إذاً كلما نظرنا إلى أحد نشعر بالوجود الإلهي في حياتنا، ومتى أحببنا الآخر كنّا كمن يقدّم محبّته لله. الله أحبّ العالم لدرجة أنّه بذل ابنه الوحيد فداءً عن العالم، فهل نحن مستعدّون للتشبّه بهذه المحبّة حتى نكون أبناء لله؟

أسبوع الوحدة

ببركة صاحبيّ السيادة المتروبوليت الياس (عوده) والمطران بولس (مطر)، وفي إطار أسبوع الصلاة من أجل وحدة الكنائس، أقيمت مساء الإثنين ٢٤ كانون الثاني في كنيسة القديس يوسف (الحكمة) صلاة الغروب لعيد القديس غريغوريوس اللاهوتي (أحد الأقمار الثلاثة) بحسب الطقس البيزنطي. اشترك في الصلاة عدد كبير من أبناء رعيتي القديس جاورجيوس – الرميل والقديس يوسف – الحكمة. خدم الصلاة كلّ من المونسينيور ميشال عون والأب يوستينوس ديب والأب رومانوس جبران وقام بالترتيل جوقة من مرتلي كنيسة القديس جاورجيوس. وفي ختام الصلاة، شكر الآباء الله على نِعَمه الممنوحة لنا سائلينه أن تبدأ الوحدة من قلوب المؤمنين.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:
www.quartos.org.lb